

# في الأدب العربي

بين بين

للدكتور طه حسين

الأصل في الكلام أنا وسيلة تتوسل بها إلى الأعراب عما تريد أن يفهمه عنك غيرك، فهما واضحاً جلياً لا لبس فيه ولا غموض. والكلام كله يشترك في هذا الأصل أو قل كان يشترك في هذا الأصل سواء منه ما كان شعراً وما كان نثراً، وسواء منه ما تحدث إلى العقل وما تحدث إلى القلب والشعور. فاذا خرج الكلام عن أصل البيان والتبيين هذا فكان فيه غموض أو اتواء فصدر ذلك قصور في المتكلم أو الكاتب أو قصور في السامع أو القارئ، وقصر ذلك فلم يحسن الأعراب عما يريد، أو عجز هذا فلم يحسن الفهم لما أتى إليه. وقد يكون الغموض مقصوداً والاتواء متممداً، لأن للكاتب أو الشاعر أو المتكلم غرضاً يدفعه إلى أن يتكلف الغموض ويعتمد الاتواء ولكن هذا الكلام الغامض الملتوى وأجد على كل حال من يقرأه أو يسمعه يفهمه فهماً صحيحاً منسقيماً

هذا هو الأصل في الكلام ولكن يظهر أن الترف الفنى الذى ترقى بنا الحضارة إليه، وتنتقل بنا في درجاته الخلفية يأتى أن يقر الأشياء في أصولها أو يدعها ميسرة لما خلقت له. فكما أن الأصل في الطعام والشراب الغذاء والرى، ولكن الحضارة والترف قد خرجا بهما عن هذا الأصل إلى ما يتجاوز الغذاء والرى إلى غيرها من اللذات التى يجدها الطاعمون والشاربون فقد خرج الترف الفنى في هذه الأيام بالكلام عن أصله المألوف إلى شيء آخر غير البيان والتبيين، ونشأت طائفة من الكتاب والشعراء لا تكتب الذم ولا تقرض الشعر لتقول شيئاً واضحاً جلياً أو لتقول شيئاً ينتهى بهمد الجهد والعناء إلى الوضوح

والجلاء. وإنما تكتب وتنظم لتثير في نفسك ألواناً من المعانى وضروباً من الخواطر، وتبيح في قلبك أشكالاً من العواطف وفنوناً من الشعور، تحسبها فتلذذ لها وتألم، وتبتهج لها وتضيق بها. وتقمها حيناً وتعجز عن فهمها أحياناً، وتذهب مذاهب متعددة غريبة متباينة في فهم هذا الكلام الذى يلقي اليك وتأويله وتخريجه فتقر ما تنتهى إليه ثم يبدو لك فتعدل عنه، ثم تقرأ هذا الكلام مرة أخرى فاذا أنت تذهب في فهمه وتأويله وتخريجه مذاهب لم تكن قد ذهبت بها من قبل، ثم تتحدث إلى من قرأ هذا الكلام نفسه فاذا هو يخالفك في الفهم كل الخلاف أو يخالفك في بعضه ويوافقك في بعضه الآخر. ثم تتحدثان إلى ثالث قد قرأ هذا الكلام فاذا له فيه رأى لم تراه ولم يخطر لك على بال ولعلكم ان سألتكم الكاتب أو الشاعر الذى أتى اليكم وإلى الناس هذا الكلام عما أراد به حين كتبه أو نظمه لم تجدوا منه جواباً مقنعاً ولا رداً مريحاً. أو وجدتم أجوبة مختلفة وردوداً متباينة، لأنه هو لا يعرف بالضبط ماذا أراد حين كتب أو نظم أو كان يعرفه أثناء الكتابة والنظم ثم ذهب عنه بعد ذلك، أو كان يعرفه فلما أتم الكتابة والنظم وترك ما كتب ونظم حيناً عاد إليه يقرأه فاذا هو يفهم منه غير ما أراد ويتبين منه غير ما كان قد قصد إليه

وقد يخطر لك أنى أقصد بهذا النحو من الكلام إلى شيء من العبث أو الدعابة، فذد عن نفسك هذا الخاطر فلست بصاحب عبث ولا دعابة. وإنما أنا صاحب جد كل الجد وأنا أكتب هذا الكلام بعد أن فرغت من قراءة قصة لذيدة قيمة ممتعة للكاتب الفرنسى جورودو. صاغها في صيغة القصص التمثيلية ووضع لها العنوان الذى وضعته أنا لهذا الفصل، ونشرها في عدد من مجلة باريس

وقد قلت إن هذه القصة لذيدة قيمة ممتعة وأنا أريد ما

قول، ولعلى متصرحين اكتفى بهذه الاوصاف وحسبك أنى  
قرأتها ثلاث مرات وسأقرؤها الرابعة أن أذن بنيلك الوقت وسمحت  
به الظروف . وقد وجدت في كل قراءة لذة ومناخا وأنا واثق  
بأنى سأجد في القراءة الرابعة لذة ومناخا . ولكنى على ذلك كله  
لم أفهم ما أراد الكاتب أو قل فهمت أشياء مختلفة وأغراضا  
متباينة، ما أظن أن الكاتب قد أراد اليها أو فكر فيها . وقد  
أسأت الظن بنفسى فقرأت هذه القصة قوما آخرين وجدوا فيها  
لذات لم أجد لها ومناخاً لم أشعر به . ولا كنيهم كانوا مثلي عاجزين  
عن ان يفهموا بالدقة أو بالتقريب ما اراد اليه الكاتب حين  
كتب قصته هذه البديعة الغريبة . ثم انتهى بنا الامر الى ان  
تفقنا على ان الكاتب لعله لم يرد شيئاً اكثر من أن يثير في نوسنا  
وقلوبنا هذه الخواطر والعواطف وهذه الالهواء والميول . وعلى  
ان الكاتب لعله أراد أن يذهب بالكلام مذهب الموسيقيين  
بالموسيقى، فلا يقصد إلا الى أن يثير في نفسك ضروبا من العواطف  
والالهواء حول فكرة خطرت له وأثرت فيه، فصورها كما استطاع  
في هذه الالخان التي قد تطابق ما في نفسه، وقد تقصر عنه وقد تتجاوز  
وتربى عليه . ولكنها على كل حال قلما تنقل الى نفسك صورة  
اصححة مطابقة لما كان في نفسه، وقاما تثير في النفوس المختلفة  
عواطف واهواء مؤتلفة أو متقاربة تقارباً شديداً . انما قصارها  
ان تدفع بك في عالم من الخيال لا حد له . فأنت تتصور فيه  
ما تشاء . وانت تحس فيه ضروبا متباينة من الاحساس . وقد  
تسمع اللحن الموسيقى الآن فيثير في نفسك لونا من الخواطر  
وتسمعه بعد ذلك فيثير في نفسك لونا آخر . وكذلك يذهب  
أصحاب الكلام بالكلام حتى يجعلوه فنا من النغم وضربا من  
الموسيقى، وحتى يستطيعوا ان يلقوه اليك فاذا انت لا تفهم منه  
شيئا دقيقا جليا كما تعودت ان تفهم من الكلام . ولكنك على  
ذلك لا ترغب عنه ولا تنفر منه بل تؤثره ولا تعدل به شيئا .  
في هذه القصة خداع غريب خطر لأنه يخيل اليك انك تفهم  
ما تقرأ على وجه من وجوه الفهم فتمضى في اقرأة متابا فهمك  
هذا مطمئنا اليه، ولكنك لا تلبث ان تضل الطريق . واذا انت  
في واد غير ذلك الوادى الذى كنت تمضى فيه . وما يزال كذلك

ينقلك من واد الى واد ويثب بك من مذهب فى الفهم الى مذهب  
آخر حتى تنتهى اقصه . واذا انت تسأل نفسك ماذا فهمت  
انت منها وماذا اراد الكاتب بها اليه .

ولا بد لى من ان ألخص لك المقدار الذى يستوى الناس  
جميعاً فى فهمه من هذه القصة حين يقرأونها وهو هذه الصورة  
الظاهرة التى يقسمها الكاتب الى مناظر وفصول . ولكنى  
احب ان تفهم ان هذا التلخيص لا يعطى شيئاً ولا يصور ما اراد  
الكاتب . وقد قرأت لجماعة من النقاد فارى انهم فطنوا  
لما قصد اليه فى دقة ووضوح .

كل شىء فى القصة مبهم قد تعتمد الكاتب ابهامه، حتى  
الاماكن التى تقع فيها حوادث القصة ، والاقوات التى اختارها  
الكاتب لوقوع هذه الحوادث . فأكثر ما يقصه عليك الكاتب  
يجرى فى مكان غير محدود ليس هو داخل المدينة وليس هو شديد  
البعد منها . وكأنه فى طرف من اطرافها حيث تصل عمارات  
المدين بالفضاء الواسع الطلق . وهو فى غابة أو فى شىء يشبه  
الغابة، تتبين فيه الاشجار ولكنك لا تضيق بها ولا تحس كثافتها  
والنفاها . والمكان واسع قد كسا أرضه العشب وانتثر فيه  
زهر كثير مختلف . ولا تقع حادثة من حوادث القصة فى أول  
النهار أو فى وسطه حين تستطيع العين ان تحيط بالاشياء وتحقق النظر  
فيها وحين تستطيع النفس ان تتابع العين فتفكر فى شىء بين  
محدود . وانما تقع الحوادث فى الاصيل حين يختلط آخر النهار  
بالليل، وحين يضطرب على الاشياء رداء رقيق جدا من الضوء،  
وحين تتفرق النفس كأنها تريد ان تتابع الشمس فى مسراها  
من وراء الظلمة الكثيفة المقبلة .

واذا اخذنا الكاتب هذا المكان المبهم، وهذا الوقت المبهم  
لم يكن من العسير عليه ان يختار اشخاصا ان ظهرت صورهم  
المادية ظهورا واضحا فى بعض الاحيان ، فان صورهم النفسية  
وما يصدر عنها من الاحاديث والخواطر مبهمه شديدة الابهام  
ملاءمة أشد الملاءمة لما يحيط بها من زمان ومكان . ولعل احسن  
مظهر لبراعة الكاتب انما هو انشاء هذه البيئة الغامضة الواضحة  
المبهمه الجلية التى هي بين بين .

موضوع القصة نفسه يقتضى هذا الموقف المتوسط بين  
الوضوح والنموض، فنحن فى مدينة صغيرة من مدن فرنسا  
كانت هادئة مطمئنة تجرى حياة اهلها فى اضطراب لا تتوء فيه  
كأنه السهل المنبسط. ثم يضطرب امرها فجأة وتحدث فيها حوادث  
غير مألوفا كأن شيطانا ما كرا قد اشرف على امورها فقلبها  
رأسا على عقب. تعودت ان تجيل بين اهلها فى كل عام طائفة  
من اوراق «النصيب». فاذا جاء موعد القرعة فقد تعودت المدينة  
أن تخرج القرعة لاغنى اهلها إلا فى هذه السنة فقد خرجت  
لرجل فقير. تعودت ان تؤدى عملية الا-صاء من حين الى حين  
كما تؤدى غيرها من المدن. فاذا سئلت الاسر عن عددها ردت  
باجوبة تلائم العرف والقانون الا فى هذا العام، فالعمدة يستحى  
ان يقدم الى المركز اوراق الاحصاء لأن الناس قد احصوا  
انفسهم، وكلاهم، وماشيتهم. ولأن الرجال لم يضعوا زوجاتهم  
فى اجوبة الاحصاء، وأما وضعوا خليلاتهم. تعودوا ان ينهر  
الرجل صبيه فلا يثور الصبي، وان يزجر كلبه فلا يثور الكلب،  
أما فى هذا العام فالصبيان ناثرون بأبائهم وأمهاتهم، والكلاب  
ناثرة باصحابها وسادتها. وعلى هذا النحو اضطرب فى المدينة  
كل شئ. ومصدر الاضطراب فيما يظن ان اشاعة ملائمة المدينة  
بأن شبعا يظهر لبعض اهلها اذا تولى النهار واقبل الليل. وقد  
صدق الناس هذه الاشاعة واطمأنوا اليها فكلمهم يلتمس الشبح  
وكلمهم يراه، وكلمهم يخافه، ويحتاط للقائه. وانتهى امر  
هذا الاضطراب الى باريس فأرسلت الحكومة المركزية مفتشا  
الى هذه المدينة يبحث ويستقصى، وأمرته بان يحسم الداء اذا انتهى  
الى أصله. وفكرة الحكومة أن هذا عارض من الضعف العقلى  
ومن الشعوذة قد ألم بهذه المدينة، فيجب ان يرد عنها وأن يبسط  
عليها سلطان العلم والعقل. ويقبل هذا المفتش ممثلا بهذه الفكرة  
فلا يكاد يتحدث الى العمدة والصيدى ومراقب المكابيل والموازن  
حتى يروعه تصديق المدينة لهذه الخرافات، وحتى يشتد عزمه على  
ان يشرم فى الحرب لهذا السخف حتى يقضى عليه. وهو ينكر  
وجود الاشباح والارواح، وهو يتحدى الاشباح والارواح  
ويطلب اليها أن تقلق طائرا ولويسيراعن غصن من هذه الاغصان  
وهو يحصى ثلاثة فلا يتم الاحصاء حتى تسقط قلنسوته عن رأسه!  
فيقول: ما أشد الريح! ويحجبه أصحابه: ليس فى الجو أثر للنسيم!

وهو يعود الى التحدى فى لفظ غليظ بشع ويطلب الى الارواح  
والاشباح أن تمسه بأذى ولو ضئيل. ويحصى ثلاثة فلا يكاد  
يفرغ من الاحصاء حتى تزل قدمه به فيهوى! فاذا نهض قال  
ما أشد الرطوبة! فيحجبه أصحابه، ان عهدنا بالمطر لبعيدا وبهذا  
يتحقق الخلاف بين ممثل الحكومة المركزية وأهل المدينة. هو  
صاحب علم وعقل وهم أصحاب خيال وإيمان بالخرافات.  
ولكن علم المفتش أولى وعقله محدود. فهو يؤمن بما فى  
الكتب ويسلم به مقلدا فيه وهو يرى الايمان به والتعصب له  
سياسة تلائم الديمقراطية وتوافق نظم السياسة الحديثة. وسذاجة  
اصحابه الذين يحاورهم ظريفة طلاقة ليس فيها غلظ ولا ضيق، وإنما  
هى سذاجة ذات أجنحة تسمو بأصحابها حتى تتجاوز بهم حدود  
المألوف المعقول وكأنها قد اتخذت أجنحتها من الخيال وأصبحت  
شعرا كلها، فالحوار اذا انما هو بين الحقائق الواقعة المقيدة التى  
لم تبرأ من الجمود ولم تسلم من القصور، وبين الخيال المطلق الحر  
الذى أخذ بحظ عظيم من الرقى والصفاء والتهديب. الحوار اذا  
بين الحياة اليومية المألوفة يمثلها شخص المفتش وبين الشعري مثله  
هؤلاء الناس. بل يمثله معهم أكثر أهل المدينة وتمثله معهم بنوع  
خاص ايزابيل هذه الفتاة التى تقوم على تعليم البنات مكان المعالمة  
المريضة التى تذهب فى تعليم الفتيات مذهبا غريبا ملابسا كل  
الملاءمة للطبيعة الحرة والشعر الطلق. فهى لا تضطرهن الى المدرسة  
وإنما تتخذ من الغابات والحقول مدرسة تلقى عليهن فيها علما  
غريبا يضيق به المفتش الذى يمثل حياة كل يوم. وهى تلقى اليهن أسماء  
غريبة تدلها على ألوان العلم فى الفلك والطبيعة والنبات والحيوان  
وهى لا تتحرج فى أن تحملهن على أن يتشكن بأشكال الحيوانات  
المختلفة ويتسمن بأسمائها ويسرن سيرتها كل تعليمها يمتاز بأنه  
شعر، ويقوم على تحبيب الطبيعة الى التلاميذ. ولا يكاد المفتش  
يرى هذا ويتبينه حتى ينفر منه ويثوره ويرى أنه أصل هذا  
السخف الذى سيطر على المدينة ونشر فيها الفساد والاضطراب.  
فيعزل الفتاة ايزابيل من منصب التعليم، ويأمر أن يجرى التعليم  
فى المدرسة على ما يجرى عليه فى المدارس الاخرى فى أضيق حدود  
التقاليد. وقد أنبىء بان مصدر هذه الاشاعة التى اضطرت لها  
المدينة انما هو هذه الفتاة المعالمة، فهى التى ترى الشبح وتناجيه  
اذا كان المساء! وقد ثبت له ذلك. فأرصد الفتاة وطائفا معه  
نفر مسلحون حتى اذا كان المساء أقبلت الفتاة وأقبل الطائف  
فتحدثت اليه وتحدث اليها. وهما فى حديثهما واذا نار تطلق فيهوى

الطائف الى الارض كما يهوى القليل . ويظهر المفتش وأصحابه وهم لا يشكون في أن هذا الطائف ليس إلا شاباً أراد أن يغوى الفتاة فتأخذ صورة الطائف وشكل الخيال . ويحنو بعضهم على القليل فلا يرى جثة وينظر القوم فاذا الطائف يرتفع في الجوشين فشيئاً فشيئاً حتى يسترد صورته الاولى ثم يقول : الى غد يا إيزابيل ! الى غد في غرفتك اذا كانت الساعة السادسة !

فاذا كان الغد أقبلت الفتاة الى غرفتها قرب الموعد المضروب وأقبل مراقب المكاييل والموازن فأخذ يتحدث اليها حديثاً فيه حب ، فتريد أن تصرفه عن نفسها فبأبي ويعرض عليها الزواج ، وهما في الحديث وإذا الطائف قد أقبل وطلب اليه أن ينصرف ويدعه مع الفتاة . ولكن الرجل يأبى ويلج في الابهاء ويكون بينه وبين الطائف حوار عذيف دقيق أيهما يستأثر بالفتاة ، والفتاة مترددة بين هذا الرجل الذي يمثل الحياة وهذا الطائف الذي يمثل الموت ولكن مياها إلى الحياة ينتصر آخر الامر فينصرف الطائف مهزوماً رتهوى الفتاة في غشية كأنها الموت . ويقبل المفتش والعمدة والصيدلى والتلميذات وبعض أهل المدينة وكلهم يريدان يستنقذ الفتاة من هذا الاغواء . وكلهم يقترح لذلك دواء وطباً ولكن الصيدلى يتقدم اليهم جميعاً في أن ينسوا الفتاة وينصرفوا الى انفسهم . ويدتألف كل منهم حياته في هذه الغرفة كما لو كان بيديها عهدها هؤلاء يعبون الورق وهؤلاء الفتيات يتحدثن فيما بينهن حديثاً عادياً ، وهاتان الفتاتان يتحدثان في الأزياء ، وهذا المفتش ينطق من حين الى حين بألفاظ فلسفة العلم والتعليم والديقراطية وقد استحوطت الغرفة صورة مصغرة للمدينة . واذا الفتاة المنغمى عليها تفيق شيئاً فشيئاً حتى تشترك في الحديث عن الأزياء ويأتى من يخبر بأن الامور قد استقامت فخرجت قرعة النصب للاغنياء دون الفقراء ، ويعلم الصيدلى في الناظ تذكر بقصة فوست ان قد انتهت هذه الحال التي كانت بين بين !

هذه صورة غليظة جداً لهذه القصة لادقة فيها ولا تحديد ولا المام بشيء مما فيها من مواطن الشعر ومظاهر الجمال الفني الرائع . ولا المام فيها أيضاً بهذه المواقف الكثيرة التي يعرض فيها الكاتب للحياة اليومية على اختلاف فروعها بالنقد اللاذع المر ولكنك تستطيع أن تسأل نفسك كما سألت نفسي وكما سألت غيري

من القراء نفسه حين قرأ هذه القصة ، ماذا اراد الكاتب أن يصور فيها ؟ أترأه ا كتنى بنقد ماتقد من الوان الحياة الفرنسية ولم يرد غير ذلك الا فان هذا النقد عارض في القصة يكفي أن تظن فيه لتعلم ان الكاتب لم يتخذ غرضاً من اغراضه الاولى اترأه رمز بهذا الطائف الى شيء مما يعرض للناس في حياتهم وجعل الفتاة رمزاً للناس جميعاً او لطائفة من الناس ؟ ولكن ماعسى ان يكون هذا الشيء الذي اتخذ الطائف رمزاً له هو الحب ؟ هو الموت ؟ هو الأمل ؟ هو المثل الاعلى ؟ هو شيء غير هذا كله ؟ اترأه إنما اراد ان يصور حالاً من احوال الناس تعرض لهم في طور من اطوار حياتهم حين يكونون بين النوم واليقظة ، او حين يكونون بين الصبا والشباب وبين الاكتهال واكتمل السن . اترأه اراد ان يصور لنا حياة فتاة مريضة بنوع من انواع الامراض العصبية تتأثر بالوهم وتتبعه حتى تمضي في اثره الى امد بعيد ثم لاترد الى الحياة الواقعة ، الا في هدوء ورفق وإلا بأن تحيط بها الحياة الواقعة احاطة متصلة لانكف فيها ولا جهد كل ذلك ممكن ، ولعل شيئاً غير ذلك كله ممكن ايضاً . ولعل الكاتب ( وقد هممت ان املى الشاعر ) لم يرد كما قلت إلا ان يخلق حولك هذه البيئة الشعرية التي تطلقك من قيود الحياة الواقعة وتسلمك الى الخيال يمضى بك حيث يشاء ساعة من نهار او ساعة من ليل . وقد ذهب الشعراء الى هذا النحو من الفن منذ عهد غير قصير ، فمنهم من جعل الشعر موسيقى تذاق بالسمع اولاً ، وتثير في النفس لذة الغم الموسيقي بعد ذلك واعرض عن المعاني اعراضاً شديداً او هيناً . ومنهم من اعرض عن هذه الموسيقى الظاهرة التي يتأثر بها السمع قبل كل شيء واتخذ الشعر منة تاحا يفتح لك به ابواب اللانهاية كما يقول الشعراء ووسيلة يخلق لك بها هذه البيئة الفنية العليا التي ترتفع بها وقتاً ما عن الحياة والاحياء

وأخذ الكتاب يذهبون بالنثر مذهب الشعراء بالشعر ولكن كاتبنا قد تجاوز مذهب الكتاب الذين يقلدون الشعر والشعراء في النثر الذي يتجه الى القراء ليس غير ، وسلك هذا المذهب الشعري بالنثر التمثيلي وبالتمثيل نفسه . وأنت في غير حاجة الى أن أبين لك الفرق بين النثر الذي يذهب فيه صاحبه مذهب

الطائف : نعم !

إيزابيل : أنت بنفسك ؟ أنت وحدك ؟ ولم تلحق بصوتك شيئاً فشيئاً آلاف من اصوات تشبهه ..

الطائف : لقد اصطدت بنوم الموتى .

إيزابيل : اينامون ؟

الطائف : ايكون هذا نوما ؟ لقد تسود في اكثر الاحيان

حيث يجتمعون رعشة ، ثم ينساب فيهم نشاط شديد ، حتى لقد ينبعث منه شيء يشبه الصوت أو انعكاس الضوء فاذا اقبل عليهم الطارقون المحدثون انغمسوا في اضطراب لذيذ تهادأ له بقية حياتهم يهزهم دائماً ترجح الارض الخفيف . ولكن ربما اتصلت جماعتهم كلها ، فكأنها قطعة من الثلج قد غمرها نوم الشتاء فاذا هبط اليها الموتى الوافدون غرقوا فيها مع شعاع يرافقهم ، لان نوم الاحياء شمس و بهجة .

إيزابيل : اكانوا كذلك امس ؟ يتصل ذلك زمنا طويلا ؟

الطائف : قرونا .. ثواني

إيزابيل : أليس من أمل في المعونة

الطائف منهم ، لا اظن .

إيزابيل : لا تقل هذا ! ان بين الذين قضوا من حولي من

احسست انهم قد ذهبوا الى غير رجعة ومحت اشخاصهم من كل حياة ومن كل موت . لقد ارسلتهم على العدم كما ارسل الحجر . ولكن بينهم من وجهتهم الى الموت كأنما وجهتهم في مهمة ، أو كأنما كفقتهم محاولة ، يظهر الموت فيها وكأنه اقصى غايات الثقة . فكان يضطرب حول المقابر جو السفر والاماكن المجهولة . ولم اكن اميل الى ان اودعهم باللفظ بل بالاشارة . وكنت احس اثناء المساء كله كأنهم يبحثون عن اقليم جديد وعن بيئة جديدة . وكانت الشمس مشرقة ، وكنت اراهم هناك ينامون في شمسهم الجديدة . وكان المطر يسقط وكانوا يتلقون القطرات الاولى من امطار الجحيم . فلن تقنعني بأن هؤلاء ايضا ينسون أو يسقطون متى انتهوا الى مستقرهم ؟

الطائف : لم يصلوا لم ارحم .

إيزابيل : وليكنك انت نفسك تلقي السلاح ؟ وتكتفي من

الامل والرغبة بأن تهيم طائفاً فوق مدينة ضئيلة

الطائف : المهمة خطيرة :

إيزابيل : ومع ذلك فما أنت ذا .

الشعراء والموسيقين والذي يتجه الى الناس جميعا ولكنهم يقرأونه متفرقين ويتأثرون به متفرقين وبين النثر الذي يذهب به صاحبه هذا المذهب ويتجه به الى طبقات من الناس يجمعهم في مكان واحد ، هو الملعب وينزعهم من الحياة الواقعة معا ويسمو بهم معا الى عالم الشعر والخيال ويتخذ هدا سبيلا واحدة هي التمثيل . وأظنك توافقني على أن في هذا النوع من الاقدام والابتكار جراءة فنية قيمة . ولكن قد رأينا الآثار التي تتركها قراءة هذه القصة في نفس القراء وهم يحبون أن نرى الآثار التي تتركها تمثيل هذه القصة في نفس النظرة . ولكن أين نحن من هذا وأين هذا منا في مصر الآن ؟

وأنا أريد ان اعرض عليك منظراً من مناظر هذه القصة لم اختره اختياراً وانما هر كغيره من المناظر التي تستحق كلها أن تترجم وأن تتخذ نموذجاً ومثلاً لهذا الفن التمثيلي الجديد . وهذا المنظر حوار بين ايزابيل وبين الطائف :

الطائف — أ كنت تنتظريني ؟

إيزابيل — لا تعذرا ! فلو كنت طائفاً مثلك لوقفت

عند هذا الشفق وعند هذه الاودية ، حيث لم أستطع الى الآن أن أحمل الاجسام كشيئاً . اذا لاستوقفتني الغدران والنبات الملتف وكل ما لا أقف عنده الآن ! اذا لما كنت هنا الآن لو أنني أستطيع مثلك ان أطوف بظلي كلما لا أستطيع إلا أن أمسه أو أراه ! اذا لاتخذت لنفسى جسماً من الاشياء كما أهوى عصفوراً على الغصن مرة أو طفلا مرة أخرى وانحرف مرة ثالثة فأتمصص عوداً مزهراً من النسرين . انما الاحتواء هو القرب الصحيح ... ولا كني ألومك لأنك أقبلت هذا المساء وحدك ، وحدك دائماً لم تستطع ان تمس احداً من ذويك ولا أن تحمله على صحبتك !

الطائف : لم أستطع .

إيزابيل : لقد فكرنا امس بعد كل هذا الاخفاق ان اقدر الاشياء على ان يهيجهم ، ويؤثر فيهم ، ويوقظ ما يمكن ان يكون اعصاب الطيف ، قد يكون صيحة طويلة ، وشكوى متصلة متشابهة ، تتردد في طول واتصال . كهذه الصيحة الحقيقية أو التي نحلم بها والتي تصدر عن القطار فتوقظنا احياناً مع الفجر وتردنا الى الاحياء . أو كصيحة السفينة اثناء الليل في الخلجان ، تلك الصيحة التي تبلغ حتى الاسماك الرخوة في القاع . ابعثت هذه الصيحة ؟ أأنفقت يقظتك في بعثها ؟

## للشاعر شـلى

مهاج العالم

حدثني أيتها النجمة ذات الأجنحة النورانية !  
أيتها الروح التي تسيح في أفقها الوهاج  
في أي كهوف الليل وأغواره أخفيت كيائك

\*\*\*

وحدثني أنت أيها القمر .. يا كوكب الليل الأصفر الحزين  
أيها الرحالة التائه في طريق لامعلم فيه ولا هاد  
في أي أعماق الليل أو النهار تلتبس مأواك؟؟

\*\*\*

وأنت أيتها الريح المتعبة الكليية  
التي تجوب الوجود مولولة كالطريد المنبوذ من العالم  
أو مازلت تبحين عن عشك الشجري في عذبات الصفصاف  
والسكفور؟؟

أغنية

هر طائر حزين جلس يبكي إنقا له قد مات  
لقد استوى في ذروة غصن من أغصان الشتاء  
وكانت الريح المقرورة تزحف فوقه  
والجدول المتجمد يدب تحته

\*\*\*

لم تكن ثمة ورقة خضراء تحنق في الغابة العارية الجرداء  
ولا زهرة ترف نوق الربوة الشاحبة الكئيبة  
وكان الجو صامتاً زامتاً  
إلا من أزيز الأرجاء البعيدة

الى القمر

خبرني أيها القمر عن سر اصفرارك ؟  
أمن التعب الذي تلاقيه وأنت تتسلق السماء جاهداً محملاً إلى  
الأرض بين رفاق من النجوم تقاوت أعمارها ؟؟  
خبرني لماذا لا يبدو عليك أمير ماء، كأنك عين حزينة لا تجد  
في العالم ما يثير انتباهها ؟؟

محمد عبد المعطي الهمشري

الطائف : إن بين الموتى من ينام وكأنه يقظان .

إيزابيل : إن هذا المنام المستيقظ يستخفى مع الصباح  
وما زلت مقبياً .

الطائف : لقد جذبتني . لقد أوقعتني في الشرك .

إيزابيل : أي شرك ؟

الطائف : إن عندك لشركاً يجذب إليه الموتى .

إيزابيل : وانت أيضاً تراني ساحرة

الطائف : إن سحرك لطبيعي حتى لكأنك قد عرفت فيم  
يفكر الموتى ، فأنت لا تهيين لهم ذكريات ولا صوراً وإنما تهيين  
لهم الشعور بانعكاس الصور وأجزاء الضوء قد استقر على زاوية  
من الموقد، على أنف هر ، أو على ورقة كأنها الحطام الضئيل يطفو  
على الطوفان ..... أترينني مصيباً ؟

إيزابيل : وإذا ؟

الطائف : وإذا فكل غرفتك في الظاهر غرفة للأحياء، لفتاة

حية من أهل الأقاليم، ولكن من يحقق فيها النظر يرى أن كل  
شء قد قدر لتكون هذه العلامة من الضوء على الأشياء المألوفة  
على إناء من الصبني أو مقبض من المقابض قد استبق دائماً بالشمس  
أو النار في النهار ، وبالمصباح أو القمر في الليل. هذه هي حباتك  
وقد كان حقاً على أن احتاط حين رأيتك في نافذتك ذات مساء .  
لم يكن وجهك المشرق هو الخطر . ولكن رأيت انعكاس اللهب  
على الحاجز أمام الموقد . ورأيت ضوء القمر على المنبه . ورأيت  
ماس الظلال . فأخذت !

إيزابيل : اخذك الشرك فمن أبقاك ؟

الطائف : صوتك قبل كل شيء أحاديث صوتك هذه التي  
تجعل في الشفق كل مساء شيئاً تهيم به الظلا يشبه ما يرى الناس  
إن الطير تحبه من الشمس! وإبقاني بنوع خاص هذه الثقة الكريمة  
التي تمنحك حتى من أن تفكرى في أني قد خدعتك وأنى حتى  
ثم تطلق النار فيهموى الطيف!

طه حسين

انظر مجلة باريس الصادرة في ١ مارس ١٥ و١٥ مارس سنة ١٩٣٣

قرأت بعد كتابة هذا الفصل حديثاً للكاتب الفرنسي المعروف فرنسوا  
برشه نشرته النوفيل لبتيرير في عددها الأخير ، ويسرنى أني قد اتفقت مع  
الكاتب الفرنسي في كثير من الآراء، وإن ألفت الذين يقرأون الفرنسية إلى  
هذا الحديث القيم